عبدالعال سعد الشليّه

فوائد من كتاب المتنبي لشيخ العربية محمود شاكر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فوائد
من كتاب
المتنبي
لشيخ العربية محمود شاكر

جمع وترتيب
عبدالعال سعد عويد الشليّه

فوائد كتاب المتنبي لمحمود شاكر

كتاب (المتنبّي) كتبه محمود شاكر في شبابه سنة ١٩٣٦م، وذلك بطلب من فؤاد صرّوف، إذ كان يريد إحياء الذكرى الألفية لوفاة أبي الطيب المتنبّي في مجلته الأدبيّة (المقتطف)، فكتَبَ شاكر كتابه هذا، ونُشِر في عدد خاصّ من المجلة في يناير ١٩٣٦م .

- كتب محمود شاكر مقالات في جريدة (البلاغ) في نقد الفصول الأولى من كتاب (مع المتنبي) لـ طه حسين بعنوان (بيني وبين طه) .

(ص٨،٧)

- **حفظ محمود شاكر ديوان المتنبي .**

قال (كان أول ديوان من الشعر قرأته كله وحفظته كله) وكذلك حفظ المعلقات العشر . فقال (كنت قبل ذلك أعرف المعلقات العشر الجاهلية وأحفظُها) .

(ص٩)

- أعطى أحمد تيمور باشا لـ محمود شاكر مجلة أنجليزية (عدد يوليه ١٩٢٥م من مجلة الجمعية الملكية الآسيوية بعنوان نشأة الشعر العربي) للمستشرق (مرجليوث) قال عنه محمود شاكر : كان يشك في صحة الشعر الجاهلي ، لا ، بل إن هذا الشعر الجاهلي الذي نعرفه ، إنما هو في الحقيقة شعر إسلامي وضعه الرواة المسلمون في الإسلام ، ونسبوه إلى أهل الجاهلية .

(ص١٢)

- وقال محمود شاكر أن الدكتور طه حسين قد سطاَ سَطْوًا كريهاً على مقالة المستشرق (مرجليوث) وقال كل يوم يزداد وضوح هذا السطو العريان على مقالة (مرجليوث) .

(ص١٦،١٧)

- يقول محمود شاكر : جرجي زيدان جاء معبراً عن اتجاه الاستشراق لا غير .

(ص٢٤)

- **قال محمود** : أن طه حسين رجع عن أقواله التي قالها في الشعر الجاهلي، بهذا الذي كتبه ، وببعض ما صارحني به بعد ذلك ، وصارح به آخرين ، من رجوعه عن هذه الأقوال . ولكنه لم يكتب شيئا صريحاً يتبرأ به مما قال أو كتب . وهكذا كانت عادة (الأساتذة الكبار) ! يخطئون في العلن ، ويتبرأون من خطئهم في السر !! .

(ص٣١ حاشية ١)

◙ قُتل المتنبي في ٢٧ من شهر رمضان سنة (٣٥٤هـ) .

(ص٣٧ ، ٥٠)

◙ المتنبي قرأ على الناس شعره مرَّات في بلاد مختلفة وأنه رتب ديوانه بنفسه.

(ص٣٨)

سبب كتابة كتاب المتنبي .

◙ **قال محمود** : عن سبب كتابة كتابه المتنبي أن أخي الأستاذ فؤاد صروف ، قد عَهد إليَّ أن نصدر عدداً من (المقتطف) إحياءً لذكرى أبي الطيب المتنبي ، في مرور ألف سنة على وفاته .

(ص ٣٥ ، ١٣١)

حينما أراد محمود شاكر كتابة كتابه المتنبي .

◙ كتب محمود شاكر كتاب المتنبي ونشر في يناير سنة ١٩٣٦م وخرج في عدد كامل في مجلة المقتطف.

(ص٥ ، ٧)

قال محمود : ولكن قلقي القديم لم يفارقني وأنا أستجمع نفسي للكتابة . لم أستطع أن أتخلص من الإحساس الملحّ بالنقص في عملي هذا . فوجدتُه أمراً لا مفر منه ، أن أفعل ما لم يكن بنيتي أن أفعله يومئذٍ . جمعتُ كُلَّ ما أمكنَ أن يقع في يدي من تراجم أبي الطيب التي كتبها الأولون ، وما أتيح لي أن أعمله مما كتبه المحدثون عن أبي الطيب . ونحَّيْتُ الديوان جانباً ، وشرعت أقرأ تراجمه القصار والطوال ، وأردُّ الأخبار التي فيها إلى أُصُولها التي نُقِلَتْ عنها ، فكان لزاماً عليَّ أرتب هذه التراجم ترتيباً تاريخياً حتى لا أضل عن مواضع التغيير والتبديل التي لحقت هذه الاخبار ، في نقل كل مؤلف عمن سَبَقه . وكان عملاً شاقاً طويلاً ، متعدد الجوانب ، متَّسِع الرقعة ، لكنه كان عظيم الفائدة . قيَّدت كل ما عنَّ لي وأنا أقرأ هذه التراجم والكتب . كنت أصطدم دائماً فيها بما يَهُزُّني وما يحيِّرني ، من الاختلاف الواضح بين صورة أبي الطيب التي تصورها هذه التراجم والكتب وبين صورته التي يصوِّرها لي تذوُّقُ شعرهِ مجرداً من تأثير هذه الاخبار التي رويت .

(ص٤٠)

وقال : فلما وَقَرَ هذا في نفسي وفَرغْتُ من تمحيصه وتقليبه حتى وجدتُهُ صادقاً كل الصدقِ ، ظننتُ ، والظنُّ يَكْذِبُ صاحبَهُ ، أني قد بلغتُ مبلغاً يفتحُ لي أبواب الكتابة عن أبي الطيب ، بلا عائق ، وإني إذا أخذت القلم والورقَ وجلست إلى مكتبي ، فقد فرغت ، في طرفة عين ، مما كلفني به أخي فؤاد صرُّوف . وكذلك سوَّلتْ لي نفسي !! لم أكد أفعلُ حتى طار من رأسي كُلُّ ما قرأتُه من شعر أبي الطيب أو من تراجمه ، ومن الكُتب أو المقالات التي كتبت عنه ، وإذا أنا عاجزٌ كلَّ العجز عن أن أستجمع فكري ، وعن أن أعرف طريقي .

(ص٤١)

وقال أيضاً : كتبتُ ما يزيدُ على ثلاثين صفحة على ما خيَّلَتْ ، أي على غَرَرٍ وبلا يقين من طريقي ، وقرأتُها أنا وأخي فؤادٌ ، فكاد يأخذها للنشر لأول وهلة . ولكنّي استأنيتُه حتى أعيد النظر فيها مرةً أخرى ، لأني كنتُ أدخر في نفسي أشياءَ بدت لي في شعر الرجل ، لم أثبتها في هذه الورقات هيبة وخوفاً من الزلَلِ ، ومن استنكار الناس لها إن أنا كتبتها مجردةً بلا دليل إلا دليل التذوق . فأخذتُ الأوراق فقرأتها في خلوتي مرة وأخرى ، فكرهتها أشدَّ الكراهة ، ومزَّقتُها من فورى . ولما أنبأت فؤاداً بما فعلت ، تجهَّم وجههُ وتبيّنتُ في تجهُّمه أنه يقول لي : إني خذلتُه خِدلاناً جارحاً . وبكى قلبي بكاءً ، فقد أحرجْته إحراجاً غليظاً ، لأنه كان قد أَعلنَ في المقتطف عن قرب ظهور العدد الخاص بأبي الطيب ، فلم أفارقه حتى وعدته بإني عمَّا قليلٍ مُنجزٌ مِيعادِي غيرَ مُخلفٍ ظنَّه . وبدأتُ مرةً أخرى على عجلٍ ، وضمَّنت الأوراق التي كتبتها بعض ما كنت ادَّخرتُه وطويتُه في المرة السالفة ، وذلك بعد قراءةٍ رابعة للديوان ، ولمواضع متفرقةٍ من تراجم أبي الطيب في الكتب ، وفرغتُ ، وعرضتُ على فؤادٍ ما كتبتُ ، وكادَ يأخذُه كما فعل أوّل مرّة ، ولكنى عدت فاستمهلته أياماً ، وبعد أخذ وردّ ، أعطاني الأوراق على مضضٍ .

(ص٤٣)

وقال : ومر نحو أسبوع وأنا لا أجد إلى هُدُوءِ نفسي منفذاً ، وأخذت ديوان أبي الطيب مرة خامسة ، أقرؤه لا أتوقف ولا أمل ولا أهدأ ، وأنا في خلال ذلك أراجع كل ما في تراجم أبي الطيب وبعض كتب التاريخ والرجال وغيرها ، تبعاً للخواطر التي تنشأ وأنا أقرأ الأبيات أو القصائد . وفي فجر الثاني عشر من شهر رمضان صلَّيتُ ، فلما جئت آوي إلى فراشي ، طار النوم من عينيَّ ، ومع طيرانه تبدد القتامُ الذي كان يَلُفُّني ، وذهب التعبُ وما لقيتُ من النصبِ ، وتجلّى لي طريقٌ بانَ لي كأني سلكتُه من قبل مراتٍ فأنا به خبير ، وأخذتُ الأوراق التي كنتُ كتبتُها واستمهلْتُ فؤاداً في مراجعتها ، فمزقتُها وأنا على عجلةٍ من أمري ، ونبذْتُها في صندوق القمامة ، وأعددت أوراقي ، وجلست على مكتبي ، وأخذْت قلمي ، وسميتُ بذكر الله . ومضيتُ أكتب ، كأني أُسطِّر ما يُملَى علَّي ..... لا حيرة ولا بحث عن أُسلوب وطريق ، ولا تردد ولا هيبةَ لشيء ، ولا تحرُّج من غَرابةِ ما أقول وما أكتب .

(ص٤٦)

وقال : وعلى ذلك ، فقد صار لزاما على أن أعود فأرتب شعره له منذ سنة (٣٣٦هـ) إلى سنة (٣٣٩هـ) وهو القسم الأول من الديوان ، ترتيبا جديدا يجعل حركة وجدانه في شعره متسِقةً مفهومة ، على اختلاف أحواله ورحلاته في مدة تزيدُ على عشرين سنة من حياته . فلما فعلت ذلك ، تبين لي ، في إعادة قراءة الديوان ، أن أكثر الغوامض المبهمة في ديوانه قد تبددت وزالت ، وتجلت لي شخصية أبي الطيب واضحةً ، وصارت حركة وجدانه في شعره ظاهرة متسقةً في ترددها بين الثورة والخُمود حيناً ، وبين الأمل واليأس حينا آخر، تبعا للأحداث التي مر بها في خلال عشرين سنة ، وهي أحداثٌ لا نكاد نجد

في تراجمه خبراً يدل عليها ، وإنما يستنبطُها تذوُّق شعره لا غيرَ .

(ص٦٢)

علم محمود شاكر بشعر المتنبي وديوانه وأنه به خبير .

قال محمود : لا يُستبعدُ أن يكون أبو الطيب المتنبي قدَّم شعراً على شعر ، وتاريخاً على تاريخ ، بيد أنِّي أعتقد أن هذا التقديم والتأخير لا يكاد يتجاوز سنة أو بعض سنة على الأرجح ومع ذلك ، ففي بعض هذا الترتيب خللٌ آخر ، وهو أن المتنبي ، كما استظهرتُ ذلك ، كان رُبما مدح رجلاً في سنة ، ثم بعد سنوات مدحه مرةً أخرى ، فكان يُلحق الشعر الثاني بالشعر الأول القديم التاريخ فيقدمه بلا مبالاة .

(ص٣٨)

وقال : وعلى كل حال فلا بد أن نكون على ذُكْرٍ دائم بهذا ، وبأن المتنبي نفسَهُ حين جمع شعره وقرأه على الناس ، أسقط كثيراً من شعر صباه ، أو من الشعر الذي تضمَّنه القسم الأول الذي لم يؤرَّخ من ديوانه . وعلى ذلك فهذا القسم الأول محتاج إلى الاجتهاد في ترتيبه على السنوات ، استظهاراً من الشعر نفسه ، ومن تراجم الرجال الذين قال فيهم هذا الشعر

وقال أيضاً : وكان ديوانُه الذي جمعه بنفسه وقرأه على الناس ، أوَّلَ ديوانٍ من الشعر جاءنا فيما أعلم .

(ص٣٩)

وقال : فلما استوقفني القسم الثاني من شعر أبي الطيب ، ومضيت في تذوُّقه مرتباً على التاريخ ، كان نَفْعُ هذا الترتيب التاريخي عظيماً ، فلذلك عُدتُ أقرأ الديوان كُلَّه قراءةً ثانية ، محاولاً أن أعرف حركة وجدانه في الشعر الذي قاله منذ صباهُ في سنة (٣١٤هـ) تقريباً إلى سنة (٣٣٦هـ) ومحاولاً بتذوّقي أن أرتب قصائد هذا القسم ترتيباً تاريخياً ما استطعت . وقد فعلتُ ، وتبين لي أنَّ أبا الطيب كان بلا شك ملتزماً بالترتيب التاريخي في هذا القسم ، إلا في قليل من الشعر .

ولما فرغتُ من هذه القراءة الثانية ، ومن ترتيب قصائد القسم الأول كما بدا لي عندئذ ، واجتمع لديَّ قدرٌ لا بأس به من الملاحظاتِ عن أبي الطيب الشاعر ، وعن حركته وِجدانه في شعره على اختلاف الأحوال والبلدان والناسِ الذين لقيهم والرجال الذين مَدَحَهم . وبدا لي أن أقنع بهذا ، وأن أبدأ في الكتابة عن شعر المتنبّي ، لا عن حياته .

(ص٤٠)

أدب محمود شاكر مع من هو أكبر منه وحفظ الجميل .

قال محمود : كان ما كان ودخلنا الجامعة ، وبدأ الدكتور طه حسين يلقي محاضراته التي عُرفت بكتاب (في الشعر الجاهلي) ومحاضرة بعد محاضرة ، ومع كُلِّ واحدةٍ يرتَدُّ إليَّ رَجْعٌ من هذا الكلام – أي من كلام المستشرق (مرجليوث) حيث كان يشك في صحة الشعر الجاهلي ، ويقول هو في الحقيقة شعر إسلامي وضعه الرواة المسلمون في الإسلام ، ونسبوه إلى أهل الجاهلية والدكتور طه حسين قد سطاَ سَطْوًا كريهاً على مقالته وقال بقوله – وتتابعت المحاضرات ، والغيظُ يفور بي ، والادب الذي أدّبنا به آباؤنا وأساتذتنا يمسكني .

(ص٣١)

وقال : فالدكتور طه أستاذي ، وله على حقُّ الهيبة ، هذا أدبُنَا . وللدكتور طه عليَّ يدٌ لا أنساها ، كان مدير الجامعة يومئذ « أحمد لطفي السيد » ، يرى أن لا حقّ لحامل (بكالوريا) القسم العلميّ في الالتحاق بالكليات الأدبية ، ملتزماً في ذلك بظاهر الألفاظ !! فاستطاع الدكتور طه أن يحطّم هذا العائق بشهادته لي ، وبإصراره أيضاً . فدخلتُ يومئذ بفضله كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، وحفظُ الجميل أدبٌ لا ينبغي التهاون فيه . وأيضاً فقد كنت في السابعة عشرة من عمري ، والدكتور طه في السابعة والثلاثين ، فهو بمنزلة أخي الأكبر ، وتوفير السنّ أدب ارتضعناهُ مع البان الطفولة .

(ص١٥)

وقال : وتتابعت الأيام ورأيتُ اسمي مذكوراً بعد خُمول ذِكْرٍ ، والفضلُ في الذي بلغتُه مردودٌ كُلُّه إلى أخي وصديقي الذي لا أنساهُ الأستاذُ فؤاد صرّوف ، أطال الله بقاءه .

(ص٧٩)

المتنبي كان يحب (خولة) أخت سيف الدولة .

قال محمود : الدكتور الطبيب الفريق أمين باشا فهد المعلوف ، من رجالات أسرة المعلوف اللبنانية : جلسنا طويلاً ، ثم خرجنا معاً ، وكان مسكنه مصر الجديدة حيث أسكن وتجاذبنا الحديث فغلبتُه أنا عليه ،وحدثتُه عمَّا أكتبه عن المتنبي ، وعن حيرتي فيما أكتب ، وعن الجرح الذي أحدثْتُهُ في قلب فؤادٍ بتردُّدي مرةً بعد مرة في تسليم ما كتبتُه إليه لينشره ، ويفِيَ للقراء بالميعاد الذي حدّده لعدد المقتطف الخاص بأبي الطيب . وفي خلال الحديث ، ذكرت له رأياً لم اكتبه في هذه الورقات ، وهو أمرٌ كنت أستشفُّه من تذوّق شعر أبي الطيب ، حتى بلغ بي حدَّ اليقين القاطع ، وهو أن المتنبي كان يحب (خولة) أخت سيف الدولة وفاجأني الرجل مفاجأة غريبة جداً أخذَ برأسي وقبَّلني ، ثم أخذ بيدي وأبَى أن يُفلِتها على طول الطريق ، حتى أذهب معه إلى بيته ، وكنَّا قد بلغنا مصر الجديدة كان يقيم في شُقَّةٍ بسيطة لطيفة ، واستقبلتنا قَهْرَمانةُ بيته التي تقوم على تدبيره سيدةٌ لطيفةٌ رقيقةٌ ، أصغر منه سنًّا ، وهي أخته

التي ترعاهُ ويرعاها ، وتركني معها وذهب وأتى وفي يده نسخة من ديوان أبي الطيب (بشرح اليازجى) ، وفتح الكتابَ ، وإذا على هوامش الجزء الثاني منه فوائد جليلةٌ علَّقها على هوامشه ، أكثرها من كتاب (زبدة اللَّب من تاريخ حلب) لابن العديم [وكان لم يطبع بعدُ] ، ثم قلَّب الصفحات حتى انتهى إلى قصيدة أبي الطيب في كافور الإخشيدى (في ربيع الآخر سنة ٣٤٧هـ)

والتي أولها :

فِراقُ ومَنْ فارقتُ غيرُ مُذممَّ ... وأمُّ ومن يَمَّمْتُ خيرُ مُيَمَّمِ

وقَرَأَ البيت الأول ، ثم قال لي : هذا دليلي على أن أبا الطيب كان يحب (خولة) أخت سيف الدولة ، فأنا أسبقُ منك في الوقوف على هذه الحقيقة . ثم قال لي وهو ماضٍ في قراءة الأبيات الثلاثة الأولى : خذ ، يا محمود ، هذا هو الدليل القاطع ! اسمع :

رَحَلْتُ فَكَمْ بَاكٍ بِأَجْفَانِ شَادنٍ ... عليَّ وكَمْ باكٍ بأَجفَانِ ضَيْغَمِ

وما رَبَّةُ القُرْطِ المليْحِ مَكَانُهُ ... بِأَجْزَعَ مِنْ رَيَّ الحُسَامِ المصَمَّمِ

فَلَوْ كَانَ ما بي مِنْ حَبِيْبٍ مُقَنَّعٍ ... عَذَرْتُ ولكِنْ مِنْ حَبِيبٍ مُعَمَّمِ

رَمَى واتَّقَى رَمْيِي ومِنْ ما اتَّقى ... هَوَى كاسِرٌ كَفَّي وقَوْسِي وأَسْهُمِي .

واستفاض هذا الرجلُ الكريم في حديثه عن أبي الطيب وخولة ، وهو يهتزُّ اهتزاز الأريحيّة ، معيداً إنشاد الأبيات مرة بعد مرة . ثم أغلق الديوان وقال لي : خُذْهُ وانتفع بما فيه من الهوامش المعلقة ، وامض على بركة الله ! جزاه الله خيراً ، فليس بيدي أنا جزأُوه ، إلا هذا الذكْرَ ، وهو لا شيء في جانب ما استفدتُه منه من تعليقاته ، وما أحدث في نفسي التغيير بعد ذلك في كتابة ما كتب عن أبي الطيب وأي شيء أعظم أثراً في النفس ، من أن تَجِدَ فجأةً رأياً يؤيدك في رأيٍ كنت تخاف إبداءَه والبَوْحَ به ، وإن اختلف طريقهما في الاستدلال والاستنباط .

(ص٤٥)

وقال : حديثي عن (خولة) أخت سيف الدولة ، كما تذوَّقته في مواضع متفرقة من شعره ، وإن لم يكن في أيدينا عنه خبرٌ البته .

(ص٥١)

وقال : أن سيف الدولة كان على علم بما كان بينهما من المحبة الغالبة على أمرهما ، وأنه كان قد وعد أبا الطيب عِدَةً لم يَفِ له بها في أن يزوّجه أخته هذه ، وكان ذلك سراً بينهما ، اتّصل بعضُ خبره بأبي فراس الحمداني ، فكان سبباً في العداوة الباغية بين الرجلين .

(ص٣٤٢)

وقال : ماتت خولة أخت سيف الدولة سنة (٣٥٢هـ) .

(ص٣٣٧)

سيف الدولة الحمداني .

قال محمود : كان مقر سيف الدولة الحمداني حلب .

(ص٣١٨)

وقال : وقد قالوا إنه لم يجتمع بباب أحدٍ من الأمراء مثل ما اجتمع بباب سيف الدولة من الشعراءِ والأدباءِ .

(٣٢٥)

هل ادعى المتنبي النبوة .

قال محمود : وانتهيت إلى رفض « النبوة ، رفضا باتاً بلا مثنوية (أي بلا استثناء) كنت موفقاً بحول الله وقوته ، ولم أكن جائراً عن الحق ، حين عددتها مما افتُعِل افتعالا .

(ص٥٩)

المتنبي علوي النسب .

قال محمود : والقول بأن « المتنبي » علوى النسب ، قول لم يسبقني إليه أحد من القدماء ولا المحدثين .

(ص٥١)

وقال : فاستوقفني قول الأصفهاني الذي قال في ترجمة أبي الطيب : « إن مولد المتنبي كان بالكوفة ، في مَحِلّة تعرف بكندة .... واختلف إلى كُتاب فيه أولاد أشراف الكوفة ، فكان يتعلم دروس العلوية لغة وشعر وإعرابة » ، فأيقظ هذا الخبر ما كان خافياً في نفسي من أمر الملاحظتين السابقتين وتناقضهما .

(ص٥٣، ٥٥،٥٧، ٥٩ ، ١٥١حاشية٢)

وقال : ثم عَلِمَ بعد زمانٍ من جدته أمر « علويَّته » ، فقلق وأنِفَ أن يبقَى أمرُها مكتوماً .

وقال محمود : وأنا لا أرى بأساً من ترجيح الظن بأن المتنبي كان من أبناءِ العلويين ، فإن هذا يفسِّر كل غموض في حياة الرجل وشعره ، وفيما روى عن نسبه من المُلَفقات . وحسبي هنا أن أمُرّ بك مرًّا على مواضع بعينها ، لترى رأيَك ، وفقك الله ، فيما أردنا من القول به ، فإن رأيت حجتنا ساقطةً فأسقطها ولا تؤاخذنا بما ظلمنا ، فإن رجَّحت ما نقول به .... فأنْ نَدْعُوَ النَّاسَ لآبائِهم أقْسَطُ عِندَ الله .

(ص٦٢، ٦٩ ، ١٥٣ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٧، ١٨٢)

حب المتنبي لجدته .

قال محمود : وذلك أن جدته أرسلت إليه قبل ذلك بسنة تقريبا ، سنة (٣٣٠هـ) تستجفيه وتشكو شوقها إليه وطول غيبته عنها (من عشر سنوات سنة ٣٢٠هـ) ، فتوجه إلى العراق ، فمنعه (العلويون) ، من دخول الكوفة ، فأرسل لها كتاب يسألها المسير إليه ، حيث مُنِع وحُبِس عن دخول الكوفة ، فقبَّلت الكتاب وفرحت فرحاً غامراً ، فلما أرادت أن تفعل ، أبلغها العلويون أنه قد ماتَ ، فحمَّت وماتت غمًّا

وملأ أبو الطيب مرثيته لجدته بمعاني كثيرة ، يُفَسرها ويكشف غموضها الفرضُ الذي كنت افترضته ، والذي صار الآن أشبه بالحقيقه كما قلت .

وتمُّر الأحداث بعد ذلك ، والنسب المكتوم يحرك وجدان أبي الطيب ، وتتحول شخصيته تحولاً ظاهراً غريباً بعد ذلك ، كما سأفسره ، ويبقى منعه من دخول الكوفة ، الذي أدّى إلى وفاة جدته ، كامناً يحرك وجدانَهُ ، حتى إذا كانت سنة (٣٥١هـ) أي بعد ست عشرة سنة ، حين خرج من مصر ، وقطع الفيافي والفلواتِ حتى بلغ الكوفة ، فدخلها ظافراً مُرَاغماً للعلويين الذين سَامُوه الخسف من قديم ، فلم يكد يدخلها حتى قال :

فَلَمَّا أَنَخْنا رَكَزْنا الرَّمَا ... حَ حَوْلَ مَكارِمِنَا والعُلى

وَبِتْنَا نُقَبِّلُ أَسْيَافَنَا ... وَنَمْسَحُها مِنْ دِماءِ العِدى

لِتَعْلَمَ مِصْرَ وَمَنْ بِالْعِرَاقْ ... وَمَنْ بِالْعَواصِمِ أَنِّي الفَتَى

وَأَنِّي وَفَيْتُ وَأَنِّي أَبَيْتُ ... وَأَنِّي عَتَوْتُ عَلَى مَنْ عَتَى

وَمَا كُلُّ مَنْ قَالَ قَولاً وَفَى ... وَلا كُلُّ مَنْ سِيمَ خَسفَاً أَبَى .

(ص٦٣)

◙ **سبب وفات جدته** : ويبدو لنا أن هذه العجوز الحازمة التي بيَّنت للمتنبي أمره ، ومهَّدت له طريقَه ، كانت مع حزمها وهَدْيها ، وبصيرتها ، رقيقةَ القلب تكاد تنخلع من نفسها إذا أعطت عواطفها قِيادها ومع ذلك ، فقد كانت تَحْزِمُ أمَرها ، وتقسوا على نفسها ، حتى يخيَّل لمن لم يَخْبُرهَا أنها لا تعطي المقَادة لشيءٍ إلاّ للعقل والتدبير المحكم . وفي الذي روَوْا من خبر وَفاتها ، دليلٌ بيِّنٌ على ذلك ، فإنها كتبت تشكو إلى ولدها وحَفيدها شَوقها ولَوْعتها وطولَ غيبته عنها ، فلما توجَّه إلى العراق (من الشام) « ولم يمكنه دخول الكوفة على حالته تلك !! » ، انحدر إلى بغداد ، وكتب إليها كتاباً يسألها موافاته ببغداد ، فلما أخذت كتابه « قبَّلته وحُمَّت لوقتها ، وغليها الفرح فقتلها » رحمة الله عليها .

(ص١٦٥)

سبب فراق المتنبي لسيف الدولة .

قال محمود : كان أبو الطيب قد أتم الثالثة والأربعين من عُمُره ، حين عزم على فراق سيف الدولة لم يفارقه مختاراً لفراقه ، فإن سيف الدولة كان مثالاً حيًا لكل ما كان مكتوماً في نفسه من الآمال والأحلام . وفي السنوات العشر التي لازمهُ فيها كان يزدادُ له محبةً وتوقيراً ، وأفضَى كل واحد منهما لأخيه بأسراره ..... بيد أن (الوشاة) و(الحساد) قد أكثروا السعاية في حقه ، حتى ظنَّ ظنًّا بلغ اليقينَ أن قلب سيف الدولة قد تغير عليه ، وكان هو بطبيعته شديد التوجس ، وكان حب (خولة) ، قد بلغ به شَفَا الهاويةِ بسعاية الساعين والكائدين ، وبلغ منه هواها ذِرْوَةً شامخة محلقةً يضيقُ بها صدرهُ كأنمَّا ، يصَّعَّدُ في السماء ، فاتخذ الليل مركباً وطار إلى دمشق ، وكأنه يقول لنفسه ، ما قاله بعد ذلك بسنواتٍ :

ضَرَبتُ بها التِّيهَ ضَرْبَ القِمارِ ... إمَّا لِهذا وإمَّا لِذا .

(ص٧٠)

والد المتنبي .

قال فؤاد صروف : فقد نقض الأستاذ شاكر الرواية المتداولة عن أن والد المتنبي كان سَقَّاءً بالكوفة .

(ص١٣٣)

قال محمود : فَذكرُ المتنبي بالسوءِ وزَعمهم أن أباه كان سقاءً ، من « مصنوعات » العراق وتجارته التي كان المهلبى (وزيراً) لها إذ ذاك على ما نرجح ، فكم اتّجر صاحبنا المهلبيّ بالأكاذيب في أيام وزارته ، كما روت التواريخ عنه وعن أيام أصحابه وإلاّ فكيف (يصحُّ في الأذهان) أن يقف ابن السقَّاء ، هذا المتنبي، كما زعموا ، في كل المواطن موقف المتعالي المتكبّر الذي لا يرى أحداً فوقه ولا أحداً مثله ، حتى سيفَ الدولة ابن حمدان وليَّ نعمته ، وصاحبه ، ومُكْرِمَهُ على حين مَساءةٍ من الزمن[1]؟! يا عجباً !! ألم يكن في مجلس سيف الدولة من يعرف ذلك يوم غضب عليه ، وترك الشعراء يقعون فيه ، ويتصدَّى له أبو فراس وهو ينشد ، فيجبهه ويقطعه عن الإنشاد ؟ يقول المتنبي في هذا المجلس :

سَيعْلَمُ الجَمعُ ممّنْ ضَمّ مَجلِسُنا ... بأنني خير من تسعى به قَدَمُ

أنَا الذي نَظَرَ الأعْمَى إلى أدَبي ... وَأسْمَعَتْ كَلِماتي مَنْ بهِ صَمَمُ .

(ص١٥٩)

وقال : إذ تكذّبَ عليه القوم فزعموا أن أباهُ كان سَقاء بالكوفة يسقي الماء على بعير له .

(ص٣٧٤)

والدة المتنبي .

قال محمود : أمَّا أمُّهُ فقد جهدتُ أن أَجدَ لها خبراً واحداً ، أو ذكراً في كلام ، فما وصلتُ .

(ص١٦٣)

وقال : ثم جاء النص على ذلك فيما حدثنا به ابن العديم عن الربعي ، أن المتنبي أرضعته امرأة من آل عبيد الله ، فدل على أن أمه ماتت قبل أن يتم رضاعه ، أو لعلها ولدته ثم ماتت في ولادها ، ولم ترضعه قط .

(ص١٦٤ الحاشية١)

المتنبي له ولد .

المتنبي له ولد اسمه (محسَّد) .

(ص ٧٠ ، ٢٤٠)

---

(1) **العبارة توهم بذم الزمن ولو قال: على حين مساءة من أحواله، أو ما أشبه، لكان أولى، والله أعلم**

وأن ابنه (محسَّد) قتل معه . قال شاكر : فلما فصل أبو الطيب من شيراز ووصل إلى دَيْرِ العَاقُول – وهي ضيعة بالعراق – اجتَمَعت عليه بنو أسدٍ وبنو ضَبَّة ، فقتلوه وقتَلوا غلمانه وقتلوا ولده محسَّداً .

(ص٣٩٠)

أطوار شعر المتنبي .

كان نمط شعر المتنبي .

الأول : مع الأمير بدر بن عمار الأسدي .

الثاني : مع سيف الدولة .

الثالث : مع كافور الإخشيدي .

(ص٧١)

ثناء محمود شاكر على المتنبي .

- واعلم أن هذا الرجل شاعرٌ مبينٌ ، قلبُه في لسانه ، وعواطفه في بيانه .
- وجعلته حكيم الشعراء وشاعر الحكماءِ .

(ص٢٧٦) (ص٣٣٥)

ثقافة المتنبي .

لما وَجَدْتُ دَواءَ دائي عِندَها ... هانت عليّ صفات جالينوسا

بَشَرٌ تَصَوّرَ غايَةً في آيَةٍ ... تَنْفي الظّنُونَ وتُفْسِدُ التّقْيِيسَا .

قال محمود : فقوله : (صفات جالينوسا) يريد ما يصفه جالينوس للأمراض من الدواء ، وهو دليل على نظره في كتب الطب ، ثم قوله : (تصور غاية) من أساليب المتفلسفة ، وقوله : « تُفْسد التقييسا » يريد « تفسد القياس » ، وهو مما يرد في كتب الكلام . ومن تتبع سائر شعره في صباه ، وجد فيه آثاراً كثيرة تدل على ما قرأ أبو الطيب وما سمع من كتب الفقه والحديث والتفسير والجدل والمنطق والملل والنحل والتاريخ وسير الأوائل والأنبياء الماضين ، وغير ذلك مما كان من علوم أهل عصره ، وقد أحاط بكثير من ذلك واستوعبه ونظر فيه نَظَرَ المتفكِّرِ المتدَبِّر ، ولولا ذَلك لما وَلَعَ بذكره في شعره ، ولما دار على غير إرادة منه فيما نظن .

(ص١٩٠)

وقال : كان هذا الفتى يمشي في نواحي الكوفة بآلامه وأحقاده وفقره ، ويتنقل في حوانيت الورَّاقين يقرأُ ما يقع بين يديه من الكتب ، ويختلف إلى مجالس الأئمة يستمع العربية والفقه والجدل .

(ص١٩٦)

وقال : وكان منصرفاً إلى العلم قارئاً له ، محققاً لدقائقه ، طويلَ النظر والتدبُّر فيما يمرُّ به من أحداث الزمان ، كثير الاهتمام بأمر الأمَّة التي هو منها .

(ص٢٣٣)

وقال : فانصرفَ إلى مَجَالس الكوفة ومساجدها ، يَشْغَلُ بطلبِ العلم نَفْسَه عما يُساورها ويهزُّ منها ، وكانَ لانصرافه هذا وإقباله على شيوخ الأدب والدين والفلسفة وغيرها من علوم العصر ، أثرٌ كبير في تهذيب نَهجه الشعري ، واستجَمَّ بهَدْأَةِ العلم ، واستجدَّ بها قوةً أخرى على الثورةِ والتقلقل ، بدت في شعره بعد مخرجه من الكوفة رائعةً مدوّيةً ، كأنما انفجرت في لسانه انفجار البركان في زلازل الأرض .

(٢٣٩)

وقال : ولما عادَ إلى الكوفة سنة (٣٢٣هـ) ، وهي مقرُّ كثير من أئمة العلم والأدب والشعر ، ولزم مجالسهم سَنَتين أو أشفَّ قليلاً ، عَمِلت هذه المجالس في تهذيب علمه الذي وقع عليه في الصِّغَر، وعَمِلت طبيعته الشعرية في هذه العلوم عملها ، وكان له من الفراغ ما يكفيه للتفكير والاتّساع في النظر ، وللترجيح والتعديل بين علمه وبين طبيعته .

(ص٢٤٥)

شجاعة المتنبي .

قال محمود : فلما انصرف أبو الطيب من مجلس سيف الدولة ، وقف له رَجَّالةٌ في طريقه ليغتالوه ، فلما رآهم أبو الطيب ورأى السلاح تحت ثيابهم ، سلَّ سيفه وجاءهم حتى اخترقهم فلم يُقْدِموا عليه . ونُمِيَ ذَلك إلى أبي العشائر ، فأرسل عشرة من خاصَّته فوقفوا بباب سيف الدولة ، وجَاء رسوله إلى أبي الطيب ، فسار إليهم حتى قَرُب منهم ، فضرب أحدهم يدَه إلى عِنَان فرسه ، فسَلَّ أبو الطيب سيفَهُ ، فوثب الرجل أمامه ، وتقدَّمَتْ فرسهُ الخيلَ ، وعبرت قَنْطرةً كانت بين يديه ، واجترَّهم إلى الصحراء ، فأصاب أحَدُهم نَحْرَ فرسه بسهمٍ ، فانتزع أبو الطيب السهمَ ورمَى به ، واستقلَّت الفرس ، وتباعد بهم ليقطعهم عن مدَدٍ كان لهم ، ثم كَرَّ عليهم ، بعد أن فَنِي النُّشّاب .... فلما يَئسوا منه ، قال له أحدهم في آخر الليلة : نحن غِلْمَانُ أبي العشائر ! فقال قصيدته التي مضت .

(ص٣٤٤)

وقال : فلما انصرف من أرضِه ، جهّز إليه قوماً من بني ضَبّة فقتلوه ، بعد أن قاتل قتالاً شديداً ثم انهزَم ، فقال له غلامه أينَ قولك :

الخَيْلُ وَاللّيْلُ وَالبَيْداءُ تَعرِفُني ... وَالسّيفُ وَالرّمحُ والقرْطاسُ وَالقَلَمُ

فقال : قَتَلتني قَتَلك الله ، ثم قاتل حتى قُتل .....» .

(ص٣٩٢)

وقال : رأوا المتنبي يتمدحُ بالكرم ويمدحُ عليه ، فوضعوا القصص في بُخْله وشَرَاهته على المالِ ، ورأوه يمجّد الرجولة والشجاعة ويصف بها نَفْسه ، فوضعوا الأكاذيب في حكايات جُبْنه وخَوَره .... إلى غير ذلك من الأحاديث التي لا تصلح لتحقيق ولا ترجمة .

(ص٣٧٧)

وقال : ومثلُ أبي الطيب إذا أريد به الشرُّ أنتفض انتفاضة الأسد إذا رامَهُ عدوّ ، وفي انتفاضته تتقذَّف قُوَّته كلَّها على لسانه البليغ المبين ، وذلك لقوةِ أعصابه ، وشدةِ توتُّرها ، وسرعةِ تأثُّرها مع ذلك .

(ص٢٦١)

دعوى (بلاشير) أن المتنبي من القرامطة .

قال محمود : وإذا كنت محبًّا للوقوف على قدرة هذا المثّال المقتدر في العبثِ ، فإني أَدُلُّكَ على المقالات الثلاث الأخيرة من مقالاتي حين اهتَبل من بلاشير فكرة (القرامطة) اهتبال الصائد ، وجعل يردّد لفظ «القرمطة» و «قرمطية المتنبي» ترديداً غليظاً ، تلذّذاً وتشدُّقاً وتشبُّها . وفكرة « قرمطية المتبي » ، على سخافتها وتَفاهتها ، فكرة واهيةٌ دالَّةٌ على خلوِّ عقل القائل بها .

(ص١٠٩)

الحروب الصليبية .

قال شاكر : حروب سيف الدولة في ثغور الشام ، هي طلائع الحروب الصليبية التي بلغت مداها في أول حملة صليبية سنة (٤٨٩هـ) أي بعد قرن ونصف تقريباً .

(ص٦٧ الحاشية)

وقال : . ونحن نظن أن السبب في كثرة غزوات الروم ، في عهد سيف الدولة ، لبلاد الشام وأطرافها ، أن الذين كانوا يفتِنُون الناس ببغداد من الأعاجم والروم والترك والديلم لينالوا ما يريدون ، علموا بأمر سيف الدولة وما اعتزم من الميل عليهم مَيْلةً رابيةً ، فأوعزوا إلى ملك الروم أن يقاتله ، وأوقعوا في قلبه أن سيف الدولة إنما يريد أن يُزيل الملك من بين يديه ويغلبه على بلاده ، فتمَّ لهم بذلك ما أرادوا من صَرْف سيف الدولة عن غزوهم وتمزيقهم ، واحتلال أرضهم ، وانتزاع السلطان من أيديهم .

(ص٣٠٣)

المتنبي وكافور الإخشيدي .

قال محمود : فقد كان شعره في هذه السنوات التسع الأخيرة من عُمُره مختلفاً كل الاختلاف من جميع شِعره ، مباينا له في الصياغة ، حافلاً بمهاراتٍ لا يطيقُها إلا قلة من الشعراء الكبار ، ثم لا تتأتى لهُم إلا حينَ يقعون في المحنة المحرِقة ، بين وجوب الكتمان وضرورة الإفصاح بين ما يُبطنونه في أغوار أنفسهم ،

وما يظهرونه فيما يجرى على ألسنتهم . وشعرُ هذه السنوات التسع، لم يقرأهُ أحد بعناية كافية ، وكلُّ ما خرج به قارئو شعر المتنبي هو هذه القضيّة الرَّثة السخيفة : أن المتنبي مدح كافوراً ثم هجاهُ! وأشباه ذلك من القضايا المستبردةِ الهالكة ، يتعالمُ بالحديث فيها دفاعاً عنه أو قدحاً فيه من يتعالمُ . وشعر أبي الطيب في هذه السنوات ، كان خلاصةَ تجاربه في حياته ، وجِماعَ معرفته بالرجال والأمم، وثمرةً ناضجةً قد استمدَّت إتاءَها ونُضجَها ومَذاقها من حياته كلها ، منذ كان صبيًّا إلى أن بلغ ما بلغ ، حيث وقع التناقض بين آماله التي عاش بها وفيها أكثر من ثلاثين سنة (٣١٤هـ – ٣٤٦هـ) ، وبين الواقع الذي يصبحُ فيه ويمُسي ، وهو في قَبضة (دولة الخدم) أنَّى ذهب .

كانت ألفاظ شعره هذا تحمِلُ كل ما يتكتّمه من الكراهة والازدراء والاستنكاف مما هو فيه ، وإن كان ظاهرها يخدع سامعه عن حقيقة ما يكتمه . وقد استوقف هذا الشعر ، في حياة أبي الطيب نفسه ، بعضَ سامعيه أو قارئيه ، كابن جني وغيره . فإنَّ ابن جني كان يقرأ على المتنبي شعره في كافور ، فربما وقف على البيت من المدح قد انطوى على معنىً من الهجاء ، فيضحك ابن جني ، ويضحكُ المتنبي لأنه كان يقصدُ به الهجاءَ . والمتنبي قد أغنانا عن هذا بقوله في كافور ولقّبه (الكركدنّ) وهو حيوان عظيم الجثة ، قصير القوائم ، غليظُ الجلد أسودُه ، له قرن واحدٌ ، وهو الخرتيت ، وحيد القرن ، شَبَّهَ الأسود كافورا به .

وَشِعْرٍ مَدَحتُ بِهِ الكَرَكَدَنَ ... بَينَ القَريضِ وَبَينَ الرُّقَى

ومَا كَانَ ذلِكَ مَدحَاً لَهُ ... وَلكِنَّهُ كان هَجوَ الوَرَى .

(ص٧٢)

محمود شاكر وطه حسين .

يقول شاكر أن طه حسين فيه من الزهو والخيلاء إلى ما غير ذلك :

قال : نشرت لجنة التأليف والترجمة والنشر ، كتاب الدكتور طه (مع المتنبي) ، في جزءين كبيرين ! وقد حدَّثتك قبل ، أن الدكتور طه في سنة ١٩٣٠م ، وما قبلها وما بعدها ، (كان في قمة مجده الذي حازه بالضجة التي ثارت حول كتابه « في الشعر الجاهليّ» ، وأنّه كان يومئذ يروحُ ويغدو على ذُرَاها ، يملؤه الزَّهْو ، وتستخِفُّه الخُيَلاَءُ ، ويميدُ به العُجْبُ .

(ص١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٢١)

وقال عن طه : فلمَّا كان الدكتور طه لم يدرك قَدراً كافياً من هذا المنهج ، وكان في عَجَلةٍ من أمره ، وكانت العجلة إحدى سجاياهُ .

(ص١١٧)

شيوخ محمود شاكر .

◙ قرأ محمود شاكر على شيخه الشيخ سيد بن علي المرصفي وكذلك شَيخُ طه حسين أيضاً

(ص٨) (ص٤٥)

الذي بين العقاد والرافعي .

قال محمود : وأرى أن كليهما كان ظالمة لأخيه .

(ص٧٧)

سطو طه حسين وعبدالوهاب عزام على كتاب محمود شاكر المتنبي .

قال محمود شاكر عن كتاب "ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام".لـ عبدالوهاب عزام.

وأخذت الكتاب أقرؤه . فإذا به ، منذ أوله ، يتعقبني تعقباً متستراً متلفِعاً بعباءة الأخبار التي رواها الرواة ، فهو يقف عند ماوقفتُ عندَه منها ، ويخالفني معرضاً غير مصرح ، أو يُعارضُني موافقاً لبعض رأيي مُغفِلاً سائرهُ ، وأَثَرُ ألفاظي في ألفاظه واضحٌ كلَّ الوضوح !! ويقف أيضاً على كل شعرٍ من شعر أبي الطيب ، لم يتنبّه للوقوف عنده أحدٌ قبلي ، ويعلقُ عليه بنفس ألفاظي التي علقتُ بها عليه !! وظل يسلَخُ من كتابي سلخاً مرّةً بعد مرَّةٍ ، مقتفياً آثاري ، ويقول ، وكأنّ ما يقولهُ مما يظهر لكل قارئٍ شعرَ أبي الطيب ، بلا معاناة وبلا سببٍ ، ويعرضه عرضاً كأنه اجتهادٌ منه لم يُسبق إليه من قبل !! وأعمالٌ أخرى قبيحةٌ ، مع الأسف ، وضنَّ ضنًّا شديداً بأن يكرّمني ويشرّفني بذكر اسمي ، وما هو إلاّ أن يقول في ثنايا سُطور كتابه : « قال بعض الأدباء » و « رأي بعض الكتاب » و (قال كاتب المقتطف)!! يا للعجب ! فلما فرغتُ من الكتاب ، ساورَني أن أكتب ، وأن أبَيّنَ قباحةَ هذا الأسلوب ، ولكني تأَنَّيتُ به ، لأني كنت لم أزل أحبُّه وأجلُّه ، ولأنيَ رَحمتُه وأشفقتُ عليه من حَيائِه ، إذَا أَنا هتكتُ عِرْض كتابه .

(ص٨١)

قاسم محمد الرجب (صاحب مكتبة المثنى ببغداد) .

قال محمود : جاءتني رسالةٌ من العراق بعد ظهور كتابي بثمانية أشهر (سبتمبر ١٩٣٩م) من رجل لم أكن أعرفه من قبلُ . كان تاجر كتبٍ ناشئًا ، لم يبلغ ما بلغ من الشهرة فيما بعد ، وهو الكُتبي المشهور (قاسم الرجب) رحمه الله ، دَّلتني رسالته على أنّه قرأ كتابي حرفاً حرفاً ، فإنه ضمنه مقابلة بين ما في كتابي صفحة صفحة ، وبين ما جاء في صفحات كتاب آخر طبع في العراق سنة (١٩٣٩م) ، أرسلَهُ إليَّ بالبريد ، كما قال . ووصل الكتاب بعد أيام ، وهو كتاب (ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام) وكاتبه هو الأستاذ عبد الوهاب عزَّام .

(ص٧٩)

وقال : وقارئ ، كتابي وكتابه قادرٌ على أن يراهُ ، كما رأى بعضَه ذلك الشاب العراقي الذي لم يدخُل (جامعةً) ولكنه ثقَّف نفسه بالقراءة ، وهو جالِسٌ في دكانٍ صغير يبيعُ فيه الكتب ، فكتب إليَّ رسالة

يذكر فيها أكثر من ثلاثين موضعاً في كتابي ، أخذها الأستاذ فوزّعها بالعَدْل والقسطاس على أبواب كتابه ، ورحم الله الشابَّ قاسم الرجب الكُتبيَّ ، فقد كان مِثالاً لليَقظةِ في شبابٍ وشيوخٍ كثيرٍ ، قد نامت عقولهم واسترخَتْ (تحت التخدير الثقافيّ) !.

(ص٩٨)

وقال محمود عن طه حسين : ولم أجد بُدًّا من هذه المواجهة ، لأني يوم فارقت الجامعة سنة (١٩٢٨م) فارقتها ، ومعي ذُلُّ العجز ، يومئذٍ ، على مواجهته برأيي في تفاصيل « سُنَّة السطو التي سنَّها لتلاميذه من بعده ومعي أيضا ما أجده في نفسي من البشاعة ، بشاعةِ ادّعاء المرءِ امتلاكَ ما يسطو عليه ، كأنّه مما اهتدى إليه ، واستحقَّ نسبته إلى نفسه بعد طول معاناةٍ في البحث وشقاء في الدرس وأن عجزى ، كان ، عن مواجهته بلساني ، غير متهيب ولا متأدب ، كان يهدمُ نفسي هدماً ، وينسفُ آدابي نسفاً ، ويتركُ في ضميري غُصَّةً تأبَى أن تزولَ . كان شيئاً بشعاً لا أطيقه » كانَ ذلك كلُّه مما أَجِد ، لا لأنه كان أمراً يَمَسُّني ، لا ، بل لأنه كان يسُنُّ سُنَّة مُتْلفةً مفسدةً للحياة الأدبيةِ والحياة العقلية والحياة النفسية في الجيل البائس الذي أنا منه ، بسَطوه سطواً عرياناً على مقالةِ الأعجميّ المستشرق (مرجليوث) ، ثم بسطوه على آخرين لم أذكرهُم ، سطواً متلفعاً بالتذاكي والاستعلاء والعجب . ذلك عجزٌ كان ، ثم انقضى .

(ص ١٠٥ ، ١١٤ ، ١١٩ ، ١٢٠)

كتب محمود شاكر كتابه المتنبي في يناير ١٩٣٦م وكتب طه حسين كتابه المتنبي في ١٨ أغسطس ١٩٣٦م .

(ص١١٨)

المستشرق (بلاشير) .

قال محمود : فالأعجمي المستشرق (بلاشير) كتب ترجمة لأبي الطيب في دائرة المعارف الإسلامية ، وقد ذكره الأستاذ عزام وذكرها مراراً كثيرة جدًّا في كتابه ، وبأدبٍ جَمّ حتى عند أشد المخالفة . فكان ممّا قاله (بلاشير) أن المتنبي بعد (ثورته) : رجع إلى احتراف المديح !! واستئناف حياة التجول بداية عام (٣٢٥هـ) .... وقنع بمدح أهل أنطاكية ودمشق وحلب وغيرها وبعض صغار العمال في هذه المدن ، الذين كانوا يقتِّرون عليه في العطاء كل التقتير (**يا سلام** !!) . ذاع صيتُه شيئاً فشيئاً حتى أصبح في أوائل عام (٣٢٨هـ) شاعر الأمير بدر الخرشانى (هكذا، والصواب : الخرشنى) الذي ذكره في ديوانه باسم (بدر بن عمار) وكان والياً على دمشق ، من قبل أمير الأمراء السابق بن رائق ، الذي كان قد احتل الشام وشيكاً . ولما كان بدرٌ من أصلٍ عربيٍّ ، فقد اعتبره المتنبي مولاه الذي كان ينتظره من أمدٍ بعيد . ثم يقول : ولم تُدمْ صداقة المتنبي لبدرٍ إلاّ حوالي عام ونصف عام .

ثم يقول هذا الأعجمي أيضا مادة (بدر الخرشنى) من دائرة المعارف الإسلامية : (بدر الخَرْشَنّى) أميرٌ يرجَّح (**يا سلام !!**) أنه من أهل خَرْشَنَة .... ويعرف أحيانا

(**لا يا شيخ**) بنسبة ربما كانت أسطورية (**يا لطيف**) ! وهي (بدر بن عمار الأسديّ) حاجب الخليفة القاهر .... ووَلِّي على جند الأردنّ ، وجعل مقره في طبرية سنة ٣٢٨هـ .

وحوالي هذا الوقت مدحه المتنبي . وفي أثناء الصراع بين ابن رائق وأمير الموصل الحمداني ناصر الدولة ، عاد بدرٌ هو أيضاً إلى العراق ، ونال الحظوة مدة قصيرة لدى الخليفة المتقي ، ولكنه اضطر إلى الالتجاء إلى الفسطاط في مصر عند محمد الإخشيدي . وتوفي بدر هناك في نهاية سنة ٣٣٠هـ .

(ص٩١)

وقال : وبنو أسد من معد بن عدنان وهو ليس أسطوريا ، وليس عند العرب ما يقال له شخص وأسطوريّ ، كالذي عند الأعاجم ، فقد ذكره محمد بن عبد الملك الفرضي الهمذاني (٥٢١هـ) صاحب تكملة تاريخ الطبري فقال : « وكان بدر بن عمار الأسدي الطبرستاني ، يتقلّد حرب طبرية لابن رائق ، وهو الذي مدحه المتنبي بقصائد عدة ، وليس له ذكرٌ في كتب التاريخ المطبوعة التي بين أيدينا ، سوى هذا الكتاب ، وما جاء في ديوان أبي الطيب . ولم يكن والياً على دمشق قطٌّ ، وزال بحمد الله الخَبَثُ والخَلْطُ . فهما إذن رجلان مختلفان لا رجل واحد ، أحد شِقَّيه حقيقة والآخر أسطورة !! هذا مجرّد عَبثٍ مُسْتَشْرِقٍ بارد .

(ص٩٣)

الأمثال والعبارات الجميلة .

- «رَجَعتْ رِيَمَةُ ، إلى عادتها القديمة» كما يقال في المثل ، بل هي لم تفارقْ عادتها قط ، ولا تملك أن تفارقها ضَرْبَةَ لازب .

(ص١٠١)

- « فما كل بيضاء شحمة ، ولا كل سوداء تمرة ».

(ص١٠٦)

- « أخرجاهُ من العبث الجادِّ إلى الجدّ العابث » .

(ص١٠٨)

- « وحِلْمُ القِطط كلُّه فيران » .

(ص١١٦)

◙ قد عركته الأيام من صِغَره ، وتحاملتْ عليه وَرَمتْ به في تَنَّورها حتى استوى .

(ص٣٣٤)

صاحب كتاب (إيضاح المشكل) والمتنبي .

قال محمود : ولو نظرت إلى أقوال الأصفهاني صاحب (إيضاح المشكل) ، وما رواه في مقدمة كتابه ، رأيته ممن كان يتحامل على أبي الطيب .

(ص١٤٣)

وقال : وقد روى بعض الرواة ، هو صاحبنا الأصفهاني ، أن المتنبي « وقع في صغره إلى واحد يكنى أبا الفضل بالكوفة ، فهوّسه وأضله كما ضل »، هكذا قالوا !

والعجب للأصفهانى ، صاحب « إيضاح المشكل »، الذي مر في أول كلامنا ذكره ، أن يزعم أن معتوهاً كأبي الفضل هذا النكرة ، قد هوّس أبا الطيب وأضلّهُ كما ضلَّ ! فمن كان في بديهة المتنبي وذكائه وتوقُّده ، لا يلعب به رجلٌ مغمورٌ غيرُ مذكورٍ كهذا الذي ذكروه . وظاهرُ أمْرِ الأصفهاني ، أو منْ قال له ذلك ، أنه وقع إليه خبرُ أبي الطيب وتنُّدُره بأبي الفضل ، هذا الدعىّ على الفلسفة ، فقلب الخبر من معنى الهزل إلى معنى الجدِّ ، ونسب إلى المتنبي الأخذ عنه ، والاقتداء بسُخْفِه وهَذَيانه . فلولا جاءوا بشَيْخٍ مذكورٍ من شيوخ الفلسفة ، وادعوا ذلك فيما ادعوا على الرجل !! .

(ص١٨٧ ، ١٨٨)

أعداء أو أنداد المتنبي .

قال محمود : القاضي أبو على المحسِّن بن على التنوخي ولد سنة (٣٢٧هـ) وتقلد القضاءَ سنة (٣٩٩هـ) فكان من أصحاب الوزير أبي محمد المهلبي . فلا عجب أن يكون محسِّن التنوخي من أعداء أبي الطيب لصلته القريبة بالوزير ، فقد بلغ به أن كان من ندمائه . ولا عجب أيضاً أن يسند التنوخي روايته (أو كذبه) إلى بعض شيوخه لئلا يفتضح . ولذلك زعم ، كما قدمنا لك ، أن القاضي ابن أم شيبان حدَّثه فقال : «كنت أعرف أباه بالكوفة شيخاً يقال له عِيدان .... إلخ ».

وهذا الشيخ التنوخي يقول : إنه سأل المتنبي عن نسبه فما (اعترف له به) وكان إذ ذاك شابًّا في السابعة والعشرين ، وكان المتنبي قد نيَّف على الخمسين ، فما نَظُّن أن القاضي التنوخي كان يجرؤ أن يسأل المتنبي عن ذلك ، لبُعْدِ ما بينهما ، ولتعالى المتنبي وترفُّعه حتى على الخلفاء والوزراء ، وأيضاً لما يعلم من صلة القاضي بالوزير المهلبي وتحققه بخدمته (كما قال عن نفسه) .

(ص١٤٥ ، ١٤٦)

وقال : وهذه العداوة التي كانت بين التنوخيين مما يحجزنا عن الثقة بأقوال أحدٍ من تنوخ (كأبي علي التنوخي) ممن يذكرُ من أمر أبي الطيب شيئاً ، وعلينا أن لا نطمئن إلى قوله حتى تقطعَنا الحجة بأنه كان ممن لا يميلون إلى هوًى ، ولا يُصغون أفئدتهم إلى بِغْضةٍ ، فما ظنك بأبي علي التنوخي ، وهو قد اجتمعت الدلائل – كما رأيتَ – على وهن روايته ، واختلاط حديثه ، وبيان هواه ؟ .

(ص١٤٩)

- أبو فراس الحمداني وهو قريع المتنبي في الشعر وعدوه لمنزلته عند سيف الدولة .

(ص١٥٩)

وقال : وأبو فراس قريعه وعدوه في ذاك المجلس إذ يقول :

كم تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْباً فيُعجِزُكُمْ ... ويكره الله ما تأتون والكرم

ما أبعدَ العَيبَ والنّقصانَ منْ شرَفِي ... أنَا الثّرَيّا وَذانِ الشّيبُ وَالهَرَمُ .

(ص١٦٠)

عصر المتنبي .

قال محمود : أن العصر الذى كان أبو الطيب أحد رجاله ، كان من بين العصور العربية عصراً خبيث النفس ، فاسد الطوية ، قد طغت فيه الدسائس ولعبت به الأهواء واستحرت الأحقاد بين الرجل وأخيه ، والوالد وبنيه ، والوحيد وعشيرته التي تؤويه . وفصل هذا المعنى ، وخذ به واعرضه في أثناء كلامنا، فما في كل موضع يمكن الإشارة ، ولا عند كل مفرق من القول يجب التعليق والتفصيل ، وما يفوز القارئ حين يفوز إلا بما يفطن إليه مما يغفل عنه غيره ويتجاوزه سواه .

(ص١٥٠ الحاشية)

المتنبي كان رجلاً مرحاً .

قال محمود : ولعله – أي المتنبي – كان في أصل طبيعته قريبَ الميْل إلى المرَح والطَّرَب في وَقارٍ .

(ص١٩٦)

فوائد متناثرة .

- قال ابن رُشيق عن المتني : (ملأ الدنيا وشغل الناس) .

(ص١٨٢)

الناس من قبل يحترمون صاحب المال .

قال المتنبي : أذكر وقد وردت في صِباي من الكوفة إلى بغداد ، فأخذت بجانب منديلي خمسة دراهم ، وخرجت أمْشِي في أسواق بغداد ، فمررت بصاحب دُكَّان يبيع الفاكهةَ ، فاستحسنتها ، ونويتُ أن أشترِيَها بالدراهم الَّتي معي ، فتقدمت إليه وقلت :

بكم تبيع هذه الخمسة بَطاطيخ ؟

فقال بغير اكتراث : اذهب فليس هذا من أكللك ، ..

فتماسكت معه وقلت :

يا هذا ، دع ما يَغيظ ، واقصدِ الثمن .

فقال : ثمنها عشرة دراهم .

فلِشدَّة ما جَبَهَنِي به ، ما استطعت أن أخاطبه في المساومة ، فوقفت حائراً ، ودفعت له خمسة دراهم فلم يقبل ... وإذا بشيخ من التجار قد خرج من الخان ذاهباً إلى داره ، فوثب إليه صاحب البطيخ من الدكان ، ودعا له وقال :

يا مولاي ! هذا بطيخ باكُور ، بإجازتك أحمله إلى البيت ؟

فقال الشيخ : ويحك ! بكم هذا ؟

قال : بخمسة دراهم ..

قال : بل بدرهمين ...

فباعه الخمسة بدرهمين وحملها إلى داره ، وعاد إلى دكانه مسروراً بما فعل .

فقلت له : يا هذا ! ما رأيتُ أعجب من جهلك ؟ أسْتَمْتَ عليَّ في هذا البطيخ ، وفعلت فعلتَك التي فعلت ، وكنت قد أعطيتك في ثمنه خمسة دراهم ، فبعته بدرهمين محمولا !!

فقال : اسكت ، هذا يملك مئة ألف دينار !

قال المتنبي : فعلمت أن الناس لا يُكْرِمون أحداً إكرامَهُمْ مَن يعتقدون أنَّه يملك مئة ألف دينار ، وأنا لا أزال على ما تراه حتى أسمع الناس يقولون : إن أبا الطيب قد ملك مئة ألف دينار .

(ص١٩٢)